بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد:

فمن المعلوم أن الأمم على اختلاف مشاربها ومذاهبها متفقون على أن ثمة أنواعاً من العلائق والصلات ينبغي أن تحكم المعاملات بين الأفراد داخلها؛ لأنه وبدون هذه العلائق ترتبك حركة هذه المجتمعات وتتعثر خطاها؛ مما يعرضها لهزات عنيفة من شأنها أن تعرقل مسيرتها فضلاً عن إمكان التسبب في إسكاتها بالمرة، هذه العلائق ـ على مر التاريخ ـ أخذت أشكالاً وصوراً تختلف من جماعة لأخرى ومن مكان لمكان آخر إلا أن هناك حداً أدنى يكاد يتفق عليه عقلاء هذه الأمم وأولو الرأي السديد فيها، وذلك الحد هو ما له تعلق بالنخوة والمروءة والعفة وغيرها من الصفات الحميدة، والأمم العاقلة في ذلك بين مستقل ومستكثر، ولا زال الناس على ذلك الحال حتى جاء الإسلام فجمع ما تفرق في الأمم العاقلة السابقة عليه من خلال محمودة وخصال كريمة، وزاد عليها أضعاف أضعاف ما كان معروفاً من ذي قبل، إلا أن البارز في هذا الصدد هو النسق الجديد الذي عَرَض الإسلام لهذه العلائق والصلات من خلاله والذي نقلها نقلة نوعية فائقة الشكل والمضمون حيث جعلها تنبثق من خلال أعز المعاني وأغلاها وهو الإيمان، فعن

أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[1] وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً»[1].

نعم، لقد جاء الإسلام بمكارم الأخلاق ومحامد الصفات، واعتنى بغرسها في نفوس أتباعه، وقدَّم لهم قدوتهم وأسوتهم ـ محمداً ﷺ ـ مادحاً إياه بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وعن سعد بن هشام قال سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقلت: أخبريني عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقه القرآن»[2]، ونظراً لما تمثله الأخلاق من أهمية بالغة داخل المجتمعات، فإننا ندعوكم ـ إخوتنا الكرام ـ إلى هذه الجولة الماتعة التي نعرض فيها للعديد من الصفات المحمودة ثم نتبع كل صفة منها ـ في الغالب ـ بما يضادها من الصفات المذمومة حتى يتشبث المسلم بالأولى وينزِّه نفسه عن الثانية، فالكتاب الذي بين أيدينا هو ـ إذاً ـ حديقة غناء، وغيضة فيحاء ينعم في ظلالها الأب مع أبنائه في بيته، والمدرس مع تلامذته في مدرسته، والإمام مع أحبته في مسجده، وقد حوى هذا السفر الجليل بين دفتيه عددا كبيرا من الآيات الكريمة، وما يقارب خمسمائةٍ من الأحاديث الشريفة، فضلا عن الآثار والأشعار والحكم التي لا تكاد تخلو من شيء منها صفحة من صفحاته، وكل ذلك ـ مما لا ريب فيه ـ يعطي هذا العمل ميزة خاصة تجعله جديرا بأن يحل كريما على كل بيت مسلم، وأن يكون ـ بحق ـ نزهة لكل مشتاق في رياض الأخلاق، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على خير خلق الله وآله وصحبه ومن والاه.

---

(١) متفق عليه [البخاري: (١/ ١٢ برقم: ٩)، ومسلم: (١/ ٦٣ برقم: ٣٥)].

(١) رواه أبو داود (٢/ ٦٣٢ برقم: ٤٦٨٢) وغيره، وصححه الألباني، رحمه الله.

(٢) المسند (٦/ ١٦٣ برقم: ٢٥٣٤١) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.